في نور محمّد فاطمة الزهراء

تدور في الأخلاد، رائحة غادية[128]، على غير هدىً، بخُطىً عشوائية، كمثل وحش في قفص يسير ويسير، ثم لا يعرف أَغَدا أم راح. كانت تتأرجح بين الشعور بالقلق والأمل في الاطمئنان، بين الإحساس بالخطر والتطلّع إلى الأمان، بين معاناة الارتياب وراحة الإيمان، كانت تصارع الحيرة. * * * لَكَم طواها ونَشَرها عندئذ التساؤل، كم غمرها ونشلها، آناً يغوص بها في الأعماق، وآناً يحلّق مع السحاب. فمن ذا عسى سوف يفرزه ذلك الباب؟ من هو الحَكَم المجهول الذي سيدخل عليهم من الصفا، ليفتيهم فيما اختلفوا فيه؟ ما شكله، وما أصله؟ ما عمره، وما قدره؟ ما مناقبه، وما سجاياه؟ ما قصاراه لدرء[129] خطر الخلاف؟ ما هي الكلمة التي ينسجها القدر، هذه اللحظة الحاسمة، حروفاً بَكْماء، ليضعها على طرف لسان ذلك الآتي من وراء الغيب، ثم لن تلبث أن تنفرج عنها شفتاه فتطرق طبول الأسماع، وتملأ الأرجاء بصيحة حرب أو ببشرى سلام، بدعوة إلى الموت أو بدعوة إلى الحياة؟ * * * إنّها إذن ـ تلك الكلمة المرتقبة ـ مصير، إنّها قضاء. فإن تجئ بمنطق عدالة، فأيّ عدالة يرتضيها الأضداد؟ أو تجئ بخلاصة حكمة،